الفصل الخامس

نيويورك (٨٠)

- صدام حضاري .
- الإنسان .
- المال .
- الوجود الداعر .
- القمر .

obeikandl.com

obeikandl.com

صدام حضاري :

كما تجمع قطرة المياه كل خصائص وصفات المحيط المجلوبة منه ، كذلك يحمل الفرد كل خصائص الحضارة التي ينتمي إليها ، فهو لسانها المعبر عن كل ظواهرها و خوافيها .

فإذا ما التقى شخصان كل منهما ينتمي إلى حضارتين مختلفتين فسيحدث بينهما صدام ن وهو في حقيقته ليس صدام شخصين بقدر ما هو صدام حضارتين ، كل منهما يريد أن يحتوي الآخر ، وكل من الشخصين يعضد موقفه أمام الآخر ، بأن يعرض جوهر حضارته ، ويدافع عنها بضراوة ، بنفس ضراوة هجومه على حضارة الشخص الآخر .

وقد تحتوي إحدى الحضارتين الحضارة الأخرى إذا كان بينهما من وشائج القربى وأواصر التقارب ما يجعل إحدى الحضارتين لا تجد غضاضة في أن تُحتوى حينئذ لا نقول عنه صدام حضاري ولكنه لقاء حدث بعد تفاهم وانسجام ثم احتواء .

أما إذا لم يكن هناك من وشائج القربى أو تشابه في الأصول أو تقارب في الفروع ، كأن تكون حضارة شرقية وأخرى غربية ، فهنا يكون الصدام ؛ لأن كل منهما له أصوله التي يختلف فيها عن الآخر ، وكما يقولون (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) .

وكان لقاء بين القاص وبين تلك المعالجة النفسية أو التي تعمل بالبغاء في أكبر مدينة تمثل قمة الحضارة الغربية (نيويورك) . والرواية تحاول جاهدة أن

تبين هذا الاختلاف الحاد بين الشخصيتين في القيم والمعايير التي تحكم كل شخصية ، والتي يستمدها كل منهما من حضارته .

وكل حضارة تحكمها فلسفة تحدد لها مقوماتها وأطرها العامة والخاصة التي تحدد تمايزها عن بقية الحضارات ، وهذا الاختلاف الحادث بين الشخصيتين أو اختلاف معاييرهم وقيمهم ونظرتهم للإنسان والحياة حادث لأن كل منهم يصدر عن مصدر غير الذي يصدر عنه الآخر .

فما هي القيم التي تحكم المجتمع الأمريكي التي تعيس فيه الشخصية ؟

في هذا المجتمع ليس هناك ثبات لأي قيمة من القيم ، كل شيء خاضع للبحث والتجريب (الطوطم) ليس له وجود في هذا المجتمع ، الجرأة والمغامرة والتغيير دافع لكل فرد من الأفراد ، والمعيار الحق والقيمة الجديرة بالاهتمام هي المنفعة ، ما يعود على الفرد بالنفع ، والنفع المادي العاجل في الدنيا ، تلك خلاصة فلسفة المجتمع ، التي نطرها فلسفة البرجماتية " والتي تفترض عدم الثبات في القيم والمعايير ، وتفترض – بل تستوجب – ضرورة تغييرها لتلاءم الظروف القائمة ، وإذن فكل فرد مسئول أمام المشكلة التي تعترضه مسئول عن حلها حلا موفقا ، فيكون هذا الحل الموفق هو الصواب والحق ، فاعترافنا أن الحق هو بحاح التنفيذ وليس يعني ألا هذا أنما يضع على الناس تبعة ، هي أن ينفضوا أيديهم من الاعتقادات الجامدة في السياسة والخلاق وأن يخضعوا أعز معتقداتهم للاختبار العملي الذي يجعل

النتائج مقياس الحق وأن هذا التغيير في وجهة النظر ليتضمن تغيرا في مركز السلطة وفي وسائل اتخاذ القرارات في حياة المجتمع "[1].

فالمفاهيم المسبقة للأخلاق والقيم مرفوضة إلا بعد أن تثبت فائدتها أو نجاحها العملي في حياة الفرد والمجتمع ، فليس هناك قوة عليا تملي على الإنسان الحق والواجب والمفروض فكل تلك المسميات لا تهبط من عل وإنما تنبت من أعماق التجربة وشواهد الواقع ، وهما اللذان يعطيانها قوة الاعتقاد والرسوخ في وجدان الإنسان هناك ، وهذه المقولة تعطيا في النهاية إنسانا لا مفهوم تحدده تلك الفلسفة لكل من :

- ❖ الإنسان .
- ❖ القيم .
- ❖ المال .

وتلك المفاهيم لا انفصال بينها ، فالإنسان هو الذي يضع القيمة ويعلو من شأنها ، وكذلك يعلو من قيمة المال ويجعله غاية الغايات أو يجعله وسيلة لغاية أسمى وأرقى .

---

[1] - حياة الفكر في العالم الجديد – د . زكي نجيب محمود – صفحة (١٧٢) .

الإنسان :

سأل القاص تلك المرأة عن عملها فلم يجد حرجا أو غضاضة في أن تخبره عن عملها :

(أجل ... أجل ...لاختصر وقتي ووقتك أنا (*call girll*) أتعرف معنى هذا لأختصر وقتي أكثر ...أنا ممن يسمونهم (المومسات) .

هذا العمل بالنسبة لها لم تجد أي خجل أن تصارح به القاص . فهو عمل كبقية الأعمال . وهو عمل له احترامه لأنه له عائد مادي . وقد اختارت تلك المرأة تلك المهنة بحريتها . فليس هناك من قيد أو لوم . ولم تخجل ولم تحاول أن تخفف من وقاحة اسم مهنتها . لأن هذا ما تمارسه بالفعل . إذن فلماذا تمارس شيء وتطلق عليه اسما آخر غير مسماه ؟!

وحينما عرضت عليه المرأة خدماتها وأسعار تلك الخدمات رفض القاص مجرد مناقشتها . وتعجب كيف تنحط قيمة الإنسان إلى هذا الدرك من الضعة والدناءة وأن تتبع جسدها ؟ هذا يحدث في بلاد عنوان عن الحضارة وتحمل لواء التقدم . (٣٠) (هو إن ما أزعجني في كلامك أنني تبينت منه بل وضعت أصبعي على نوع من التحلل المروع . لا أقول حضارتكم ولكن أحط ما في هذه الحضارة وأي حضارة المرأة فيكم . أنتن النساء محررات روحيا وعقليا وفلسفة والذي يدهشني أنكن تستطعن إيجاد الزبائن من الرجال رجال نشئوا في مجتمع مفروض أنه راق وأنه غادر تلك المراحل البدائية التجارية الحربية من علاقة الرجل بالمرأة - كيف يقبل الرجل يعيش في أرقى بلاد العالم في النصف الباقي من القرن العشرين أن يحصل على امرأة . جسد امرأة بصرف النظر عن إي إحساس آخر لديها مقابل بضعة دولارات ينقدها إياها لأنها قبلت أن تتعرى له من داخلها

وخارجها . أني لمشمئز من حضارة تصعد بسمو علمها إلى القمر ولا زالت تنحط بجسدها إلى مدارك الرقيق الأبيض . والأسود . مشمئز لامرأة مثلك وأنت لست سوى واحدة من جيش عرمرم . امرأة ذكية مثقفة واسعة الاطلاع والخبرة جميلة أجمل من ممثلات أي سينما أن تزاول عملاً يمكن أن تفعله أي متخلفة عقلية فهو لا يحتاج إلاَّ ...طبعا أنت تفهمين) .

فالقاص – هنا – يحكم على المرأة وعملها بقيمه هو ومعايير الحضارة التي ينتمي إليها . تلك الحضارة التي تعلو بقيمة الإنسان وتحيطه بهالة سامية من القيم والأخلاق . تمنعه من أن ينزل من مكانته إلى مكانة دنيا . فهذا الفعل – البغاء – مزموم مرفوض في عرف القاص وفي دستور حضارته وقيم مجتمعه . لأنه لا ينظر تلك النظرة التي تنظر بها المرأة . المعيار النفعي المادي للقيمة . بينما القاص له رأي آخر . فهو ينظر إلى الفعل بغض النظر عن العائد المادي له . بل يحدد الفعل أن لا يكون له عائد مادي على فاعله وهذا ما نطلق عليه اسم الفضيلة . يحرص الناس – في الشرق – على الحرص عليها والتحلي بها . " ومن هنا كذلك كان من غير المقبول عندنا أن يقال عن الأخلاق مدارها – في نهاية الأمر – منفعة تعود على الناس لأننا نرى أن الفضيلة هي جزاء نفسها أرادها لنا الله وعقلناها . فالفعل عندنا يعد فاضلا في ذاته بغض النظر عن نتائجها . أهي ضارة بصاحب الفعل أم نافعة له . وبعبارة أخرى فإننا نقيم الأخلاق على أساس الواجب لا على أساس الفائدة وهذا لا ينفي أن الواجب قد يجئ مصحوبا كذلك بنتائج نافعة فوق كونها واجبا . ولكنه واجب يؤدى قبل أن نفكر فيما يترتب عليه من ضر ونفع "([1]).

[1]- تحديد الفكر العربي – د . زكي نجيب محمود – صفحة (٢٧٧)

اختلاف شاسع بين من يضع المنفعة المادية معيارًا بها يحدد قيمة الفعل وبين من يضع حكم السماء في تقيم الفعل . فالمعيار الأول مهما كان الفعل ينتقص من قيمة الإنسان أو لا يتناسب مع آدميته إلاَّ أنه له قيمته لأنه يتوافق وذلك المعيار .وهذا ما جعل المرأة تتحدث عن مهنتها أمام القاص كحديث الدكتور أو المهندس عن مهنتهما . فالدعارة – هنا – تتساوى والهندسة والطب . لأنها تقف معهما أمام ذلك المعيار .

حتى ولو كان لتلك المهنة – إن جاز لنا أن نقول ذلك – بعض الاحتقار الذي ينظر المجتمع إليها . إلا أن الحرية التي يتمتع بها الفرد تجعله حرا في كل شيء حتى في بيع جسده للآخرين لقاء ثمن . وتلك – في عرفنا – ليست بالحرية وإنما نوع من التحلل . ففي الوقت الذي يبيع فيه الإنسان نفسه يكون فقد صفاته الإنسانية وبالتالي هدد تلك القيمة في المجتمع كله . ولا ينبغي أن تمنح حرية لإنسان يجرح بها نفسه من مدارج الإنسانية . (٦٢) : (هو أنا الذي سيقول لك هذه المرة كلمات ....مجرد كلمات دعوة عظيمة كدعوة الحرية والتحرر تصبح تبريرًا للتصرف في جسم الإنسان بطريقة غير إنسانية ....هل هذا هو التحرر ؟

هي طبعا ....حريتي أن أبدع نفسي .

هو هذه ليست حرية .. حرية أن يبيع الإنسان جسده . إنها أولا تحول الإنسان إلى تجارة . إلى تاجر رقيق أبيض . ثم تحويل هذا التاجر المفروض أن يتاجر في أجساد الآخرين إلى تاجر يتاجر في نفسه هو ...يطرحها كأي سلعة على

بطاقة السعر ومن يدفع يشتري ويحصل . هل تتصورين هذا ؟ يحصل عليك كلك على روحك بأدق خلجاتها . إذ هو يدخل سر أسرارك) .

وحينما ينظر المجتمع إلى الإنسان تلك النظرة . ويؤيدها الفرد . يصبح في عداد السلع . واليوم الذي يحدث فيه ذلك هو يوم إهدار الآدمية . والمكان الذي يحدث فيه ذلك هو مقبرة لكل تلك القيم والمبادئ التي استلهمتها الإنسانية خلال تاريخها الطويل .

وكانت (باميلا جراهام) تعمل معالجة نفسية في إحدى مستشفيات نيويورك ولكنها تركت هذا العمل لتعمل بغيا . لأنه يدر عليها أكثر مما لو كانت تعمل في المستشفى . متعللة بأن هذا عمل وهذا أيضا عمل . وهذا الانتقال لا غبار عليه مع أن عملها في المستشفى عمل إنساني . أما خارج المستشفي فهو البغاء بعينه لأنه يحقق المنفعة . وتلك المنفعة لا تستهدف الإعلاء من قيمة الإنسان . وإنما تنزل به إلى أسفل سافلين ، (٦٣) : (هو : نحن أمام الإنسان الذي حوله عالمكم الذي يسمونه للأسف إلى بضاعة إلى ترس إلى جزء من آلة إنتاج واستهلاك كبرى اسمها المجتمع وما دامت كل الأعمال تتشابه في رفض الإنسان أصلا ليا فيصبح الانتقال من عمل إلى عمل مسألة لا تزعج أحدا . ولكنك لم تنتقلي من إنسانة تعمل معالجة نفسية إلى إنسانة تعمل بغية أنت انتقلت من عمل عظيم يدني روحا لانك تساعدين أرواحًا معذبة إلى عمل يخرب روحك إلى عمل يميتك حية . حية أسكنت روحها جسدا تستغل صاحبته شققا مفروشة مع عشرة في المائة خدمة . جسد الخدمة فيه ممتازة جدًا فالفام دي شامبر مثقفة معالجة متعلمة . قطعا يفضل أي زبون السكن في شقتها) .

تناقض حاد في مجتمع وصل إلى قمة التحضر وتعلق فيه أحدث نظريات العلم والتكنولوجيا ومع ذلك ما زالت هناك بقايا من النظرة البغائية للإنسان متخلفة إليه من عصر الرقيق الأبيض . لم يعد الإنسان غاية الغايات . ولم يعد هو المستهدف من كل نشاط أو فعل وإنما دُرج ضمن الوسائل التي تصل إلى غايات أبعد مثل المال أو غيره . وأصبح الوجود الإنساني فارغا وأجوف لا يشعر الإنسان بثرائه أو امتلائه . لأنه استنفد جميع طاقاته وإمكاناته .

obeikandl.com

المال :

كل الأنشطة وكل القيم بما فيها الإنسان تستهدف غاية واحدة هي المال وقيمة العمل تقاس بقيمة ما يدره من مال . هذا المنطق الذي كانت تتحدث به للقاص . وكان على طرفي نقيض منها . لأنه يرى عكس ما تراه . يرى أن المال لا يزد عن كونه وسيلة . ولا يكترث بالمال قدر اكتراثه بالوسيلة التي حصل من خلالها على المال . ومن خلال ملاحقة المرأة له وذهابها إليه في الفندق ظن أن في الأمر شيئا فقد تكون عميلة لإحدى المنظمات التي تريد اغتياله أو تريد الحصول على معلومات ما . وحينما كاشفها بالأمر قالت له : (٤٦) : (هي : ولو فرض أني عميلة أتعتقد أني وصلت في عشقك إلى الدرجة التي أعترف لك فيها أني مدسوسة عليك ؟ ثم أحب أن أقول لك أنا ليس لدي مانع مطلقا أن أعمل مع أي جهة تدفع بسخاء فالنقود أصبحت هي الولاء الأعظم . وحياة الترف حلم أي امرأة مسحوقة هنا في نيويورك . وأي رجل حتى لو كان الكرسي الكهربائي في نهايتها) .

فلابد أن تسير في هذا الطريق الذي دُبحت كل القيم والمبادئ على جانبيه ولم يعد يضئ ذلك الطريق سوى بريق المال . يأخذ بمجامع الأبصار . ويظل الإنسان مأخوذا بهذا البريق الزائف ويسير على هداه حتى ولو كان آخر الطريق هو الكرسي الكهربائي . فهو أعمى عن كل شيء إلاَّ عن مقدار ما سيحصل عليه من مال من أي طريق وبأي وسيلة وبذلك يكون إنسانا راقيا متقدما متحضرا كما نقول . (٦٢) (الأرقى عندي هو الأكثر نقودًا بأقل جهد) .

الوجود الداعر :

الوجود الإنساني أعلى قيمة لدى الإنسان . وكل ما حول الإنسان يتخذ وسيلة لغاية واحدة هي الوجود . ويوجد الإنسان ليستمتع بكل طاقات وإشعاعات هذا الوجود وبثرائه غير المتناهي . أما أن يسخر هذا الوجود لممارسة الحب فحسب أو لجلب كم من المال . فهو نوع من الدعارة الوجودية . وسعار المال دفع الإنسان أن يستبدل حتى وجوده في سبيل الحصول عليه . وليتها صفقة رابحة . ولكنها صفقة المغبون . فقد استبدل أثمن شيء يملكه بأتفه شيء لا يملكه . وبذلك يصبح الوجود أجوف خاويا من كل معنى ولن يعوضه المال أو كل نتاج الحضارة أن يعيد ثراء وجوده . وتلك نقيصة من نقائص تلك الحضارة التي قطعت شوطا كبيرًا في طريق التقدم والتحضر ونسيت الإنسان وكيانه الوجودي ومتطلبات هذا الوجود . (١) (لقد فشل الغرب نفسه - وهو صانع العلم الحديث - في أن يقيم لنفسه مثل هذا اللقاء بين الطرفين . فكان له العلم ولكنه فقد الإنسان . وليس هذا الاتهام من عندنا بل يكفي أن تتبع الأدب في أوربا وأمريكا اليوم - والأدب هو المرآة المصورة للإنسان وما يعتمل في نفسه - لنرى ما يحسه الناس هناك في دخائل صدورهم من ملل وسأم وضيق وحيرة وضياع . إن الإنسان هناك يساير عصره العلمي في مقتضياته ولكنه لا يجد الفراغ ليخلو إلى نفسه ويصغي إليها كأنما كل فرد هناك هو فاوست أغراه الشيطان بأن يبيع نفسه من أجل علم يحصله . أو مال يكسبه . أو قوة يستبد بها ويطغى . ولسنا نقول ذلك وفي أذهاننا أقل درة في الغض من شأن العلم والمال والقوة .بل نقوله لنؤكد ضرورة أن يضاف إليها شيء آخر هو القيم الحلقية

والجمالية التي تجعل من الإنسان إنسانا بعد أن جعل منه المال والعلم والقوة إنسانا بالطول والعرض) .

فإنسان تلك الحضارة خاو من الداخل ، لذلك يشعر بهذا النقص ، فيسارع بإيهام نفسه أنه موجود من خلال ممارسة أي عمل من الأعمال ، (أنا أفعل كذا إذن أنا موجود) ناسين أن من المحال أن يملأ فعل واحد الوجود الإنساني الرحب الواسع ، أو أن يناط الوجود الإنساني بفعل مثلما أرادت المرأة أن تثبت للقاص أنها موجودة وتشعر بهذا الوجود وتستمتع به لأنها تمارس الحب ، (٦٦) : (هي : أنا أمارس الحب فأنا موجودة .

هو : للأسف أنت موجودة ، وإنما ليس لأنك تمارسين الحب ، في الحقيقة أنت موجودة مجرد موجودة لأنك لا تمارسين أحلى وأروع أنواع الوجود المحبوب المرغوب . أنا أمارس الحب فأنا موجودة ؟! هل تقبل الطفلة منطق الطفلة أن يدفع لها مقابل نقدي لقاء حبها لعروستها أو لقطتها ؟ هل لا تحس بوجودها إلاّ وهي فقط تبيع الحب وتمتهن الجسد وتعتدي على كبريائها ، هي قطعا أما عمياء لا ترى شيئا بالمرة أقصد عمياء سلوكيا ، أو مفتحة الأعين إنما لا ترى من الكون إلاّ حافظة الرجل وأجر الساعة ، هذه هي النهاية المحتمة لتقيم الرجل أو المرأة لنفسه ولغيره بحساب (الدولار – ساعة) . مادام قد وضعتها على أول الطريق دولار – ساعة فالبغاء هو النهاية المحتمة) .

وهناك أكذوبة يتمسك بها هؤلاء القوم أو تلك المرأة ، أن لا ضرر ولا ضرار فهي تستمتع بممارسة الحب وأيضا لا تضر أحدًا بتلك الممارسة ، نعم ، هذا يؤكده

ظاهر الأمر أما حقيقته فهو يؤكد أن هناك ضررًا وضرارًا أيضا . فالإنسان ليس حرا في التصرف فيما يخص جانبه الإنساني ، لأن تلك قسمة مشتركة مع الناس جميعهم . ولأن الأمر في النهاية أمر قيمة إنسانية ، فإن مس تلك القيمة من أي فرد ، فقد ألحق الضرر بأفراد الجنس البشري كلهم بدون استثناء . ولكن حينما تستأثر مشاعر الأنانية والذاتية على الفرد لا يكون ثمة قيمة أو شيء من هذا القبيل لا يكون هناك إلا ذلك الفرد ورغباته الدنيئة وملذاته الوضيعة . (٥٥) : (هي: الإنسان يا وآنسة أو يا مدام أو يا دكتورة هو في النهاية بعض القيم خلاص انتهت عندكم القيمة تماما في نيويورك حتى لم يبق إلا الدولار قيمة والمتعة والأنانية الذاتية هي الهدف .

هي . الدولار قيمة هذا صحيح . أما المتعة فما الضرر أن أستمتع طالما أني أمتع طرفا آخر ولا أضر أحدا ؟) .

فالحرية الفردية سلاح ذو حدين قد يستخدمها الإنسان في نفع نفسه ونفع المجتمع ، ولكن حينما تستحوذ علينا الأثرة فلا يكون هناك مصلحة المجتمع ولا يكترث الفرد بها بل قد يمارس ما تمليه عليه شهواته ورغباته وبذلك يكون بسبيل تدمير نفسه وتقويض ذاته .

القيم :

هذا المجتمع يقف موقفا غريبا من القيم . فهو يرى أنها ظواهر للمرض وأن الإنسان المتمسك بتلك القيم مريض . ينبغي معالجته ليشفى مما ألم به . فهو شاذ أو متأخر . ما زال يتمسك بقيم لم يعد لها وجود . بعد أن فقدت تأثيرها في إنسان القرن العشرين وما بعده . وفقدت سلطانها ونفوذها في ابن الحضارة الغربية في أمريكا . فكل تلك القيم في نظره تعتبر معوقات وعقبات أمام التحضر وينبغي للإنسان إذا أراد السير في ركب الحضارة – التخلص من كل تلك القيود التي تقيد الإنسان كما يقيد الحبل الدابة . فليس هناك دليل أو مبادئ تحدد للإنسان تلك القيم وتبين أهميتها ليس في حياته المادية فحسب بل في حياته الوجدانية والروحية . فالإنسان جسد وروح . وكما هو في مسيس الحاجة إلى ما يغذي جسده . أيضا في مسيس الحاجة إلى ما يغذي روحه . وإلاّ تغير مفهوم الإنسان لدينا ليصبح جسدًا فقط . وربما هذا راجع إلى أن كل فلسفات – أو معظمها – أولت اهتماما بالعقل والعلم وكل فروعه . ونسيت في غمار انشغالها هذا أن تضع للإنسان – كما وضعت للعلم والتكنولوجيا – فلسفة تحدد المفهوم الحق والشامل للإنسان.

" فنجد الفلسفة السائدة فلسفة تحليل العلم وقضاياه لترى متى تكون الصيغة العلمية المعينة صادقة ومتى لا تكون ولكنها لا تعبأ بالإنسان إذ تترك أمر الإنسان للأدب والفن فلنا عندئذ أن نقول لهم : لا أننا نسايركم في فلسفة العلم

لكننا نوجب أن تضاف إليها فلسفة للإنسان الحالي الذي ينبض في صدره قلب ويطمح في حياته إلى أبعد الغايات "[1].

وهذا ما دفع (باميلا جراهام) أن تتهم القاص بالمرض حينما رأت أنه متمسك بما يسمى (القيم) . فلم يدخر القاص وسعا في مقارعتها بالحجة (٦٥) : (شي : مبتسمة في سخرية : أنا إذن مريضة يا طبيبي السؤال هو في الحقيقة : من فينا المريض ؟ لماذا لا تكون أنت المريض بهذه الأفكار التي تزحم بها رأسك . مريض بقيمك ومثلك . وأكون أنا الطبيبة . لماذا لا يكون الوضع فعلا هكذا ؟

هو . أنا يا مدام (قالها هذه المرة قاصدا) متحضرًا جدًا . إن الإنسان ليس فقط أرقى الكائنات ولكنه أخطرها على الإطلاق أخطرها حتى على نفسه . وأنه ما لم يزود هذا الإنسان أو بالأصح ينقى من درات الغبار حتى درات الغبار التي تعلق بهذا الشيء المخبأ خلف جبهتي لاستحال من أرقى إلى أخطر وأحط كائن في الوجود في عكس اتجاه التطور الخلاق . يدمر بادئا أو منتهيا بنفسه ومن حوله وكل أولئك الذين كان من الممكن أن يكونوا أحباء وأصدقاءه وحتى معارفه) .

وإن كانت تفهم معنى الأخلاق فهما غريبًا . فهي تراه الصدق مع النفس فحسب . وتلك فضيلة لا تكمل إلاّ إذا كانت تحرص على مكانة النفس الإنسانية (٥٧) : (هي : أنت أخلاقي جدًا .

---

[1] - تجديد الفكر العربي – د زكي نجيب محمود – (٢٨٦)

هي : وهذا منتهى التحضر في رأي . فالأخلاق . قمة الخلاق قمة التحضر هي الصدق مع النفس .

هي : وعلى هذا المقياس نفسه فأنا الأخرى أخلاقية جدًا) .

والقيم ليست منفصلة على الإنسان . وليست نوعا من الترف . ولكنها في صميم تكوينه وأحد أعمدة كيانه الآدمي الذي يشهد له انه ابن حضارة إنسانية مرت عليه قرون حتى وصل إلى تلك الدرجة من هذا البناء القيمي الذي يحافظ على آدمية الإنسان . ويحول بينه وبين التردي في هوة الانحلال . وحينما تصبح المرأة متدلة سهلة المنال لكل من شاء . فإنها تدمر تلك الأنثى الإنسانية التي يعتمد عليها في بقاء ونقاء الجنس البشري . ولأنها يناط بها هذا الدور الخطير منذ وجود الإنسان على الأرض . فقد تطورت وارتقت تلك الأنثى كما ارتقت الإنسانية وأصبحت الإنسانية تتشكل وتتحور بما تتشكل عليه تلك الأنثى . فمنها يتفرع الجنس البشري كله . فهي بمثابة الجذر . وإذا أصاب الجذر مرضا انتقل تأثيره إلى بقية الساق والفروع . وأضحت الشجرة كلها مهددة بالسقوط بعدما دبت فيها عوامل الفناء . (٦٠- ٦١) (هي : الأنثى التي كلفت الحياة ملايين السنين من الإيغال في التعديل والتبديل حتى أصبحت قمة الكون النامية الأنثوية أرقى إبداع للخالق . بقرار أحمق ليس طفليًا بل تافهًا وحقيرًا . فالأطفال أعظم بكثير وأكثر براءة ونظافة ....بقرار كهذا تلغي ملايين السنين من التطور وتقذف نفسها ساقطة هاوية إلى حيث توقف التطور بالقطط والكلاب والفئران . حتى هذه الحيوانات تحتفي بالجسم ببطولة معركة تدور بين الذكرين حول القطة وهي الهدية هي الوسام . والفائز هو فعلا من يستحقها ...إنها أبدًا لا تطلب مقدما أو مؤخرًا

أو تأخذ أي شيء ، إنها بكل الجلال والسخاء تعطي ما نقيس بالثمن والساعة نحن لا نتحول إلى بضاعة ذات سعر ، وتفخرين أنت بهذا باعتبارها مهنة كسب أكبر قدر من النقود في أقصر وقت تكسبين الدولارات هذا صحيح ، ولكن الحسبة مغلوطة تماما ، فأنت حتى لو أوغلنا في التشبيه ، رأس مال تكسبين مائة عاجلة وتخسرين مئات آلاف من رأس مالك ، وطريقة سهلة جدًا تكسب النقود ولكنها كمهنة من أمتهن احتساء وجرع ماء النار في دقيقة يأخذ مائة دولار ولكن الكارثة هي كم ما يحدثه الداخل في أحشائه من تهرؤ وتآكل في صميم روحه وذاته بل وفي جسده) .

وكانت رسالة الدكتوراه لذلك (ماسلا حراهام) بعنوان السلوك الإنساني عند الحيوان فالقاعدة لديها هو الحيوان ، تبحث عن السلوك الإنساني عند الحيوان . لأن القيم ليس من خصائصه ، وهو كائن متخلف ، أما الإنسان فقد تعدى تلك المرحلة ، ترك مرحلة التخلف والتأخر وترك وراءه كل ما كان يربطه من تلك المرحلة من قيم ومبادئ ومعايير ، وحينما يضع القاص تلك الحياة التافه والوجود الأسن الصحل إن استمتاعها هذا لن يدوم ، فحالما يزول هذا الجمال الذي يجعل الرجال راغبين فيها رغبة الديدان للجيفة ، بدأت تتهمه أنه مومس وبدأت تباحثه حينما رأت أن الخناق يضيق حولها . (٦٩) ا هي . نقصد أساسا ما تسميه بلغتك القيم العليا .

س وما تسميه أنت خصائص الحيوان .

أي حياة لذيذة تلك التي تدفعين فيها الثمن – كدين شيلوك – من لحمك ودمك ! أنها تصبح كمدمن الهيروين الذي يبيع كل يوم أصبعا من أصابعه ليظفر بالجرعة . اسمحي لي يا سيدتي أنت مريضة جدا هيأ لك مرضك اقتناعا كاملاً بحياة تعرفين من أعمق أعماقك أنها ملفقة وكاذبة ومليئة بخداع النفس .

هي : لقد بدأت أمل حديثك .

هو : لأنه اقترب من نقطة جنونك الحساسة . لقد صغت لنفسك كما تقولين الحياة المثلى وتحدين الرجال وتغيير الرجال . وفوق هذا تكسبين نقودًا وسهرات وكل يوم وجه وجسد جديد ولكنك تستيقظين ذات صباح لتجدي أنه لا جديد بالمرة لا وجه ولا جسد ولا حتى إنسان ليقول لك صباح الخير . أنت كما تبدين في الثلاثين . تصوري كم إنسانا سيحضر عيد ميلادك الخامس والأربعين بل حتى الأربعين .

هي : لقد بدأت تصبح مملا جدا . ماذا تريد مني ؟ ماذا تأخذ على ؟

هو : نفس ما تفخرين به أنك مومس .

هي : ولكنك أنت الآخر مومس . وكل هؤلاء الحليقون المتسمون المتحدثون في همس مؤدب خافت كل من ترى من الرجال والنساء حولك مومسات ومومسون) .

وحينما يصل القاص معها إلى منطقة لا تحد مناصا من الاعتراف بأن وجودها أكثر دناءة ووضاعة من وجود الحيوان ولكنها مع ذلك نظيفة لا لشيء

إلاَّ لأنها لا تكذب على نفسها ولا على من حولها . فهي قذرة . ولا تقول غير ذلك لا تضع قناعا على وجهها أو لا تسمى باسم غير اسمها الحقيقي . ولا تتستر لواجهة جميلة . ولأنها صادقة فهي نظيفة . لأن القذارة أن تضع قناعا يظهرك بصورة الحمل الوديع وأنت ذئب . أو تتسمى باسم يحترمه الجميع بينما هي في الواقع مومس . النظافة هي الحقيقة ليس أكثر . وبهذا المعيار هي نظيفة . ولكن القاص لا يحدع بهذا لأنها حتى لو كانت نظيفة . فهي – ولا شك – ستخسر نفسها بعد أن يذوب وجودها شيئا فشيئا . كما تذوب قطعة الثلج تحت أشعة الشمس المحرقة وتنفجر باصياح غاضبة أنها أنظف قدرة . أنظف من كل من حولها . (٧٢) .

(هي : لا يهمني كلامك أبدًا . أنا قررت حياتي . أنا مومس ولكني نظيفة . فأنا لا أقول أنا مدام فلان . أو صديقة علان أو أرملة تلتان . أنا نظيفة أقولها لك وللجميع : أنا مومس ويقولي هذا على الملأ أصبح أنظف منكم جميعا . فأنا لا أكذب عليكم ولا على نفسي . أنتم الكاذبون والكذب اخدش للشرف من النفاق أنا المومس فعلاً . وما أفعله مومسة . ولكني نظيفة.

هو لا يا سيدتي لا تخدعي نفسك فأنت تفخرين أنك الوحيدة التي لا تخدعين نفسك . قولي أنا مومس وأن بيع الجسد أحقر شيء يرتكبه بشر . ولكني لا أعرف لماذا أنا أفعله ولا تهربي خلف رداء العموميات قولي لنفسك أنك ستخسرين نفسك وأنك بحاجة إلى من يعالجك أو يأخذ بيدك).

ونصل إلى الدرجة التي لا تستطيع فيها الصبر حينما أظهر القاص لها وجودًا عاريا بدون تلك الأقنعة الكاذبة التي تحاول أن تختفي ورائها . وانفجرت غاضبة تقول . (٧٣) . (هي أنا نظيفة ...نظيفة ...بل أنا قذرة ...قذرة جدًا ولكني أقولها ...

ها أنذا أصرخ بها ....أنا نظيفة جدا لأني قذرة جدًا جدًا ....أنا أنظف قذرة أنظف منكم كلكم ، (بول شيت) عليكم جميعا) .

والمجتمع أو الحضارة التي يعيش فيها المجتمع هي التي شكلت الفرد على هذا النمط من التفكير وهي التي ألهمته هذا الإطار الضيق لينظر به إلى الوجود الإنساني الرحب الثري ، إن الإنسان كائن شره نهم ، سياط الرغبة والتملك تلهبه فتشعل فيه نيران الشهوات ويؤجج الغرائز الحيوانية ، ويعلو صوت الحيوان ليطغى ويطمس صوت الإنسان ، وطالما أصبح حيوانا ، فالمكان أو المجتمع الذي يعيش فيه غابة ، ويسود قانون الغاب ، أن يأكل القوي الضعيف ، فلا قانون ولا قيم ولا أخلاق فكل تلك المسميات من مخلفات العصور المتأخرة القديمة ، ولا تصلح تلك المفاهيم إلا للمتاحف أو في حصص التاريخ القديم للإنسان ، أما في القرن العشرين وفي قمة الحضارة الغربية فاعتمادك في المقام الأول على مكرك ودهائك ونفاقك وسيشبع كل شيء لقاء قضاء متعة أو رغبة من الرغبات الحيوانية ، (٦٨) .

(شي ، إنك أيها الأستاذ العالم تخاطبني وكأنك تخاطب العالم من فوق برج إيفل الشرف والصدق والإنسان المتحضر الراقي أين على سطح كرة أرضية مكونة من وحل وطين ماذا أفعل أنا التي ولدت في غابة لم أصنعها أنا ولكنها كائنة وموجودة أحافظ على بقائي وأظفر بالمأوى والطعام والمتعة وإن لم أجد أسرقها وإن لم أستطع أقتل وأغتصبها ! أنت تملك ترف أن تعيش شريفا ولكن غيرك حتى لو أراد لا يملك هذا الترف .

هو : أنت تكذبين على نفسك أنت في إصبعك خاتما يعول عائلة بأكملها في بلادي لثلاثة أعوام أنت لست جائعة لهذه الدرجة .

هي : لأن جوعكم هو أبسط أنواع الجوع جوع الحيوان إلى الطعام ولكن جوعي هو جوع الإنسان إلى حياة الإنسان جوع الحياة بمتعة الحياة لمجرد البقاء هي حيوانات متخلفة . إني جوعي للسفر والرحلة والحياة اللذيذة . الفرق أنكم حيوانات جوعي بينما جوعي أنا وجوع غيري هنا هو جوع الإنسان . أبشع أنواع الجوع لأنه ليس جوع معدات إنه جوع مراكز عليا وخيالات وأحلام جوع النوازع العليا يا أستاذ .

هو : ومن أجل تلك النوازع العليا تنحطين وجسدك إلى ما هو أدنى من مراتب الحيوان .

هي فليكن أني أغوص بالحيوان في لأمتع كل ما يجعل مني إنسانا .

هو : تفقدين بهذا الحيوان والإنسان معا . فالإنسان لا يرتفع فوق حيوان هابط . الإنسان يصبح إنسانا حين يشبع فيه الحيوان ويحترم فيه الحيوان حيوانيته لكي يستطيع الإنسان فيه بعد هذا أن يفخر ويزهو وإنسانيته . إن الوحل لا يصنع أساسا لناطحة سحاب مهما حفلت أدوارها العليا بالديكورات والتحف والرينات) .

إنها تسعى سعيا لاستنفاد أحر قطرة من عصير الوجود . تعيش بأقوى مما تستطيع تحمل الحياة بكل عضلة في كيانها وكل نسمة في عروقها . وقد يسرت الحضارة المتقدمة لها سبل الاستمتاع بالحياة . ولكن متى ارتوى طالب متعة

الحياة ؟ إنه كشارب الماء الأجاج لا يزيده هذا الشرب إلا عطشا على عطش هذا الظمأ جعلها تنشد المتعة بأي ثمن . وليس هناك من قيم أو معايير تصنع إفريزا لطريق المتعة . فأي جهة شاءت اتجهت حتى لو باعت نفسها من أجل تلك المتعة بل أن بيع الجسد أو النفس يكون من أبخس الأثمان لتلك الصفقة . إنهم باعوا أنفسهم للشيطان ففتح لهم أبواب عوالم متخمة باللذة والشهوات والذي جعلهم سلس القيادة للشيطان تلك الفلسفة الزرائعية التي تقيس كل عمل بنتيجته وعائده النفعي ومرجعه المادي . نعم . قد يصلح تطبيق هذا على المادة الصماء أما على الإنسان الذي قد يضحي بحياته من أجل قيمة أو من أجل مبدأ أو من أجل كلمة دلك الإنسان الذي يعلم أن لا بقاء لإنسانية الإنسان بدون قيم تكون حاجزا أن تختلط حياته بحياة من هم دونه في الرقي والسمو . وتلك ميزة وعيب لا نريد أن نغمطها حقها كما لا نريد أن نتحاوز عن عيبها .

أما الميزة فقد ارتقت بالمستوى المادي للإنسان . وسخرت له البر والبحر يفعل فيهما ما يشاء .

أما العيب فإن هذا التقدم والتحضر فتنه عن نفسه فنساها في غمرة الاستكشاف والبحث والتحليل والابتكار . وقد قال القاص جملة تعتبر هي المحور الذي يدور حولها فكر الرواية . فحينما دخلت عليه في فندقه وبعد حوار بينهما أضحى الموقف هكذا (هو . بنصفه عار بدون جاكته وهي بنصفها الأسفل عار بدون بنطلون) ...

وكأنهما شجرتان هو له الجذور الضاربة في أعماق التاريخ العريق وهي مثقلة بالثمار على أغصانها ولكن لا جذور هناك . فهي في حاجة إلى تلك الجذور وهو في حاجة إلى تلك الثمار . إلا أنه يرفض تلك الثمار لأنها لم تنبت في أرضه ، فهي غريبة عليه ولن يحدث هذا إلا حينما تأخذ التمار غذاءها من تلك الجذور التي أنبتتها روحانية الشرق ورسالاته وكتبه . تسري في شعاب الحدور على هيئة قيم ومعايير وبذلك تكتمل لشجرة الحضارة كل صفاتها الإنسانية . وحينئذ تؤتي أكلها لكل من شاء الأكل ، فالجذور متأصلة في الأرض . ضاربة في أعماق التاريخ القيمي للإنسان والأغصان خضراء مثقلة بالثمار المتخمة بما استمدته من الجذور ، وبما أخذته من هواء وشمس الحضارة .

سيرة ذاتية

الاسم : محمود محمد محمود القلينى

عضو اتحاد الكتاب بالقاهرة – عضوية عاملة رقم ١٩٧٧

الهاتف : ٠٠٢٠٤٥٣٣٢٠٣٩

المقال : ٠٠٢٠١٠٦١٤١٤١٢٤

البريد الالكتروني :elkellenymahmoud@yahoo.com

الأعمال المنشورة :

١- إنهم يذهبون : قصص قصيرة دار الشعب بالقاهرة –١٩٨٢.

٢- الدجال والشيطان : رواية مركز معروف بالإسكندرية –١٩٨٥.

٣- إحنا دين والكيمة : مسرحية الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة-.١٩٩٥

٤- محنة الإمام أحمد بن حنبل: مسرحية الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٧.

٥- مصرع الخراساني : مسرحية الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة٢٠٠٢ .

٦- غائب لا يعود : مسرحية الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة .

٧- الفكر الإسلامي ومستجدات العصر كتاب المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ٢٠٠٥ .

٨--عش حياتك سعيدا : كتاب مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار – ٢٠٠٥.

٩-- السماء تفتدن عروسها : كتاب مكتبة العلم والإيمان بالمنصورة ٢٠٠٦.

١٠- العمرية - في رحاب عمر بن الخطاب. كتاب دار العلم والإيمان بدسوق ٢٠٠٧.

١١- أمير الصحافة العربية : كتاب مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار٢٠٠٩ .

١٢- سخصية موسى النبي : كتاب مكتبة بستان المعرفة٢٠١١ .

١٣- الإسكندرية عناقيد العشق والغضب: رواية مكتبة بستان المعرفة ٢٠١١.

١٤- الوردة في وجدان المصريين كتاب مكتبة بستان المعرفة ٢٠١٢.

١٥- الباحثون عن الله كتاب دار العلم والإيمان بدسوق٢٠١٣.

١٦- الخروج من الحلم رواية مكتبة بستان المعرفة٢٠١٣.

١١- ملك رأيتها عريت : مسرحية الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٠.

١٨- سخصية المسيح كتاب مكتبة بستان المعرفة بكفر الدوار ٢٠١٤.

١٩- سخصية النبي محمد : كتاب دار العلم والإيمان بدسوق ٢٠١٤.

الجوائـــز :

١- جائزة التأليف المسرحي من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية محنة الإمام أحمد .

٢- جائزة التأليف المسرحي من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية إحنانون والكهنة .

٣- جائزة التأليف المسرحي من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن مسرحية مصرع الخراساني.

٤- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة بعنوان (الذاتية والقيم الوجودية في أدب إبراهيم عبد القادر المازني).

٥- جائزة الدراسات النقدية من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عن دراسة بعنوان (قيم ومعايير في أدب يوسف إدريس).

٦- جائزة المقالة النقدية من المجلس الأعلى للثقافة عن دراسة على قصة (الطريق) لنجيب محفوظ.

٧- جائزة من نادي أبها بالمملكة العربية السعودية عن مسرحية محنة الإمام أحمد بن حنبل ١٤١٧هـ.

٨- جائزة من نادي القصة بالقاهرة عن رواية بعنوان (قوس قزح) ٢٠٠١.